﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ٣٥ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ٣٦ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: 34 - 41]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقال من دلائل القدرة إلى مشهد الجزاء

لما ذكرتِ الآيات السابقة أدلة البعث وبراهين الخلق؛ للاستدلال بها على يسير بعث الإنسان بعد موته وإحيائه؛ ناسب الانتقال إلى ذكر يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ لأنّ ذكر القيامة نتيجة تلك الدلائل وغايتها، وهي مشهد البعث والجزاء، فالسياق السابق أقام البرهان على إمكان الإعادة، فجاء هذا المقطع؛ ليصوّر ما بعد الإعادة من أحداث القيامة، وكأنّ ما قبلها مقدّمة وما بعدها ثمرة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾: (طمم) أصلٌ يدلُّ على تغطية الشّيء للشّيء حتى يسوّيَهُ به، من ذلك قولهم: طمَّ البئرَ بالتّراب: ملأها، وسوّاها[2]، والطّامّة: التّي تَطِمُّ على ما سواها، أي: تَزيد، وتَغلب، وطمّ البَحْرُ: غَلَب سائرَ البُحور[3]، ويُقال للشيء الّذي يَكثُر حتى يَعْلو: قَد طمَّ، وهو يطمُّ طَمًّا، وجاء السَّيل، فطمَّ على كلّ شيء، أي: عَلاه، ومن ثَم قيل: فوقَ كلِ طامَّة طامّةٌ[4]، والطّامّة هي القيامة، سمّيت بذلك؛ لأنّها تطمّ على كلّ شيء، أي: تغلب على كلّ شيء، وأصله من الطم،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 241، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 89.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طم).
(3) الخليل، العين: (طمم).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (طمم).

وهو الغلبة على الشيء[1]، والمراد به في الآية الكريمة: يوم القيامة، وهي الحادثة التي تطمّ ما سواها[2].

2) ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: (برز): أَصْلٌ يدلُّ على ظُهورِ الشَّيْءِ وبُدوِّهِ، فالبَرازُ: المَكانُ البَعيدُ الواسِعُ الخالي مِن الشَّجَرِ ونحْوِهِ، يُقالُ: بَرَزَ الرَّجلُ، يَبْرُزُ، بُروزًا: إذا خَرَجَ إلى الفَضاءِ الواسِعِ لِحاجَةٍ، ويُطْلَقُ البَرازُ على الصَّحْراءِ البَعيدَةِ[3]، ومن الباب: المُبارزة للقتال، وهي الظُّهور مِن الصَّفِّ[4]، والمراد به في الآية الكريمة: أُظهرت[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تعيين أهوال يوم القيامة ومصير النّاس إلى الجنّة والنّار

تُبيِّن الآيات الكريمة واقع مجيء القيامة التي تطمّ كلّ هولٍ قبلها، وهي النّفخة الثّانية، عندئذٍ يُعْرَض على الإنسان كلّ أعماله التي كسبت يداه من خير وشرّ، فيتذكّر الإنسان أعماله، ويعترف بها، وأظهرت جهنّم، وقُرّبت لكلّ مُبْصِر حتّى يرونها عيانًا، عندئذٍ ينقسم النّاس قسمين، فأمّا مَن كفر، وتمرّد على أمر الله تعالى، وفضّل الحياة الدّنيا على الآخرة، فمصيره إلى النّار التي هي مأواه، وأمّا القسم الآخر، وهم الذين خافوا القيام بين يدي الله تعالى للحساب، ونهوا النّفس عن أهوائها الفاسدة؛ فإنّ مأواهم الجنّة خالدين فيها[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوع الفاء ودلالتها الارتباطية بالسابق:

البعث مرتبة مترتّبة على الاستدلال بأدلة الخلق

الفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ للتّفريع،

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (طمم).
(2) ابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 437.
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (برز).
(4) الهروي، الغريبين في القرآن والحديث: (برز).
(5) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 285.
(6) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 910، وجماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 584.

فإنّ ما بعد الفاء مترتّب ومتفرّع على ما قبلها[1]، فيجوز أن يكون التفريع على الاستدلال الذي تضمَّنه قوله: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ﴾ وما بعده من الآيات، فإنَّ إثبات البعث يقتضي الجزاء؛ إذ هو حكمته. وإذا اقتضى الجزاء؛ كان على العاقل أن يعمل لجزاء الحسنى، ويجتنب ما يوقع في الشقاء، وأن يهتم بالحياة الدائمة، فيؤثرها ولا يكترث بنعيم زائل فيتورّط في اتباعه؛ فلذلك فرّع على دليل إثبات البعث تذكيرًا بالجزاءين، وإرشادًا إلى النجدين، ويجوز أن يجعل قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ مفرَّعًا على قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾؛ فإنّ الطامة هي الزجرة، ومناط التفريع هو ما عقبه من التفصيل بقوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ الآية؛ إذ لا يلتئم تفريع الشيء على نفسه[2].

دلالة الشّرط بـ (إذا):

آثر النّظم الكريم التّعبير بأداة الشّرط (إذا)، في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ للدّلالة على تأكيد وقوع ما بعدها، وجاء فعل المجيء بصيغة الماضي وهو مستقبل؛ لاقترانه بأداة الشرط (إذا)، فقد أفادت الاستقبال، وإنما يؤتى بعد (إذا) بفعل الماضي؛ لزيادة تحقيق ما يفيده (إذا) من تحقّق الوقوع[3].

المستقبل للقيامةِ وقوعًا وللمؤمنين نعيمًا وللكافرين جحيمًا

بلاغة التّعبير بفعل المجيء:

آثر النّظم الكريم التّعبير بفعل المجيء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ لدلالة المجيء على شدّة الحضور والحصول، فإنَّ المجيء يكون للجواهر المحسوسة على الغالب.

(1) القنوجي، فتح البيان: 15/ 68.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 89.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 89.

بلاغة المجاز بالحذف:

رُبَّ جـــواب محـذوف أوقـع في النّفس ما لا يوقعه المذكور

حذف النّظم الجليل جواب (إذا) الشّرطيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾، وقد دلّ على المحذوف التّفصيل اللّاحق، والتقدير: إذا جاء وقت وقوع الداهية العظمى التي تطمّ، وتغلب على سائر الطامات والدواهي؛ فإنّه سيقع من عظائم الأمور ما لا يخطر في بال، ولم تره عين، ولم تسمع به أذن[1]، فحذف الجواب؛ لتذهب النّفس كلَّ مذهبٍ في تصوّر ما سيحدث، من أهوالٍ سيقت في هذه السورة على وجه الخصوص، وفي سائر القرآن على وجه العموم.

بلاغة التّعبير بصفة الطّامّة:

الـترهـيـب بما يـؤذن بالـشـدّة والـهـول أنسب لـلـــردّ عـلى المنكرين

آثر النّظم الكريم التّعبير بمفردة الطّامّة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ دون بقيّة أسماء القيامة وأوصافها؛ لما فيها من الدّلالة على أنّها تطمّ كلَّ شيء، فيكون تحتها في الشدّة[2]، فهذا اللّفظ يؤذن بالشّدّة والهول، وهو الأنسب لوصف يوم القيامة للرّدّ على منكريه[3]، وناسب هذا اللفظ ما جاء في سياق السورة من ذكر الحافرة، والساهرة، وهي من أوصاف الأرض، فكان ذكر الطّامة مناسبًا لهذه الألفاظ، فالطّامة تطمُّ كلَّ شيءٍ من الأرض، فلا تترك له معلمًا أو أثرًا، وهو مناسب كذلك لفعل طغى، في حقِّ فرعون، وفي حق الكافر المبعوث يوم القيامة.

دلالة الوصف بـ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾:

لا أشـــدّ ولا أعظم من هول يوم القيامة

وصف النّظم الجليل الطّامّة بـ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ للدّلالة على كمال شدّتها، فهي أكبر الطّامّات[4]، فالوصف هنا أفاد التّأكيد؛ لأنّ الطّامّة هي أكبر

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 285، والهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 90.
(2) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 152.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 90.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 284.

الدّواهي، فوصفها بذلك تأكيد[1]، كما أنَّها أفادت أنّها الأكبر دون منازع؛ ولن يُشهدَ مثلها.

علّة فصل جملة ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾:

تفصيل مشهد الطامّة الكبرى وبيانه

فصل النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ لأنّها جاءت تفسيرًا وبيانًا لمضمون الطامّة الكبرى، فهي تفصيل لما تشتمل عليه من أهوال، فجُعِلتْ جملةً مستقلّةً؛ لتمييز ذلك اليوم العظيم بذكر أبرز ما يقع فيه من أحداثٍ مؤثرة، لا بوصفٍ مجمل[2].

نكتة التّعبير بالظّرف (اليوم):

جماع الحسرة والفرحة بمعرفة مآلات العاملين

عبّر النّظم الجليل بالظّرف (اليوم) في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّ التّذكّر والانتباه لحقيقة الأمر ستكون في ذلك اليوم، فيتذكر ما عمله من خير أو شر؛ لأنه يشاهده مدوَّنًا في صحائف أعماله[3]، وفي ذكر الظرف إبرازٌ لذلك الزمان الذي غفل عنه الإنسان إنكارًا وجحودًا، فذكر الظرف فيه تحسيرٌ وتنديمٌ على تقصير الإنسان في حقِّ نفسِه وحق ربِّه، فضلًا عمّا فيه من تنبيه على تحصيل المؤمن لجزائه الأوفى.

سرُّ إيثار التّعبير بالتّذكير مادّة وصيغة:

رؤيـة الأعـمـال والاعـتراف بها بـرهـان الـعـدل الإلهي

آثر النّظم الكريم التّعبير بلفظ التّذكير في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ للدّلالة على أنّه سيرى أعماله في كتابه؛ لأنّ التّذكر يقتضي سبق النّسيان، والمعنى: يعرض عليه عمله، فيعترف به[4]، أمّا إيثار الفعل المضارع؛ فهو لاستحضار الصورة، وكأن التذكّر يحدث الآن أمام السامع، فالمضارع يُنشّط الخيال، ويُجسّد

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 103، والهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 90.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 90.
(3) القنوجي، فتح البيان: 15/ 69.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 90.

الفعل في الحاضر، فيرى القارئ الإنسان، وهو يتذكّر أعماله واحدًا واحدًا حين تُعرض عليه صحيفته.

معنى تعريف الإنسان:

عرّف النّظم الجليل لفظ الإنسان في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ للدّلالة على الجنس، أي: كلّ الخلق الذين غفلوا عمّا خلقوا له[1].

معنى ﴿مَا﴾ ودلالتها:

سيرى الإنسان كلّ أعماله، أحصاه الله ونسوه

عبّر النّظم الجليل بـ ﴿مَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾، وهي هنا صالحة؛ لأن تكون مصدريّة، أي: سعيه، وموصولة، أي: الذي سعى له من العمل[2]، ودلّ التّعبير بها على شمول كلّ ما سعى له وما عمله في الدّنيا من خير أو شرّ[3].

نكتة إيثار التّعبير بلفظ السّعي:

السّعي عمل مستمرّ متّصل بالإرادة والجدّ

آثر النّظم الكريم التّعبير بالسّعي في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾؛ لدلالة السّعي على الجدّ في الأمر، خيرًا كان أو شرًّا[4]، وهذا اللفظ يوحي بالكدّ والمثابرة، فدلّ على أنّ أعمال الإنسان ليست لحظاتٍ عابرة، بل هي مساعٍ متواصلة تشكّل سيرته في الحياة.

توجيه العطف بـ (الواو):

أعظم مشاهد القيامة هولًا بعد الطّامة إبراز الجحيم

عطف النّظم الجليل إبراز الجحيم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ على مجيء الطّامّة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾؛ للدّلالة على تتابع أهوال القيامة، فالواو تبيّن مجيء حدثٍ جديد يزيد المشهد هولًا، فبعد ذكر الطامة الكبرى

(1) الخطيب، السراج المنير: 4/ 481.
(2) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 599.
(3) الخطيب، السراج المنير: 4/ 481.
(4) السمين، عمدة الحفاظ: (سعي).

يُكشف الغطاء عن الجحيم إظهارًا بيّنًا يراه كل أحد[1]، فجاء العطف؛ ليُبرز تصاعد الأهوال، ويُجسّد انتقال السامع من هولٍ إلى ما هو أشدّ منه.

دلالة التَّعبير بالفعل (بُرّزت) مادَّة وصيغة:

التَّدرُّج في تبريز الجحيم تفزيع يُبرز القلوب من صدور أصحابها

آثر النّظم الجليل استعمال فعل البروز في قوله جلّ شأنه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ لبيان أنَّها تكون خافية، ثم يكون إبرازها شيئًا فشيئًا، ترهيبًا وتفزيعًا؛ ليذوق النّاس ما غفلوا عنه في الدّنيا، والتدرج في كشف الجحيم يأتي تدريجيًّا، وهو ما دلّت عليه مادة المفردة وصيغتها، وجيء بالفعل مبنيًّا للمفعول؛ لأنّ بيان مبرّزها ليس مرادًا ههنا، بل المراد الموعظة بالإعلام بوقوع إبرازها يومئذٍ، والتّعبير بصيغة الماضي والحدث مستقبل لتحقيق وقوعه وتأكيده.

سرُّ إيثار التَّعبير بمفردة ﴿ٱلۡجَحِيمُ﴾:

تجسيد النار في مـرأى العـالمين إنـهـاكٌ لأجساد العالمين

آثر النّظم الكريم التّعبير بالجحيم في قوله جلّ شأنه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ لأنّها أبلغ ألفاظ النار في تصوير شدّتها وعمقها، فالجحيم هي النّار العظيمة المستعرة في حفرة عميقة[2]، لا مجرد نار تُرى، بل نارٌ لافحةٌ ذات قعرٍ مرعبٍ واضطرام دائم، ولمّا كان الجحيم أشدّ ما يكون بعد مجيء القيامة، خصَّها النّظم بالذّكر؛ لتقع موقع التّرهيب في قلوب المنكرين، وإبرازها إظهارها بعد خفاء، وهو ما يدلُّ على شدّة استعار نارها، وهول حريقها.

نوع (اللّام) ودلالتها:

علّة الإبراز إظهار الجحيم لكلّ أهل الموقف

اللّام في قوله جلّ شأنه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ للتّعليل، أي: لأجل أنْ يراها كلّ من له قدرة على الرؤية، أي: انكشافًا تامًّا

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 104.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 91.

لا يخفى على أحد، مثل قول العرب: قد تبين الصبح لذي عينين، والمقصود عموم الظهور لا إلزام كل أحد بالنظر، فالناجي لا يلتفت إليها، لكنها مع ذلك مُبرزة في الموقف للجميع؛ تحقيقًا لكمال الهول والانكشاف يوم القيامة[1].

دلالة التَّعبير بالاسم الموصول:

كـلّ راءٍ سيبصر الجحيم ظاهرة أمام عينيه

عبّر النّظم الجليل باسم الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ للدّلالة على عموم من سيراها، أي: بُرّزت لكلّ راءٍ، بحيث إنّها لا تخفى على أحد منهم[2]، أي: كائنًا من كان؛ وذلك لأنّ (مَن) من ألفاظ العموم[3]، وفائدة تعميم الرّؤية أن يعرف المؤمن قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها، ويزداد الكافر غمًّا إلى غمّه وحسرة إلى حسرته[4].

بلاغة التعريض باستعمال لفظ ﴿يَرَىٰ﴾:

مـن عـمـي عـن الـجـحـيـم في الدنيا؛ رآها في الآخرة

آثر النّظم الكريم التعبير بلفظ الرّؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾؛ للتّعريض بمن أغفل الرؤية في الدنيا عن الآخرة، فمن لم يرَ في الدنيا؛ فسوف يرى في الآخرة، ففيها تبكيت للكافرين الذين أعموا أبصارهم وبصائرهم عن رؤية الحقِّ في الدّنيا، مع شمول الرؤية لكلِّ من له قدرة[5]، وجيء بالفعل مضارعًا؛ للدّلالة على حدوث الرّؤية وتجدّدها لعموم النّاس، فأمّا الكافرون؛ فسوف يرون الجحيم بعد أن كانوا في غطاء عن ذكر الله في الدنيا، وأمّا المؤمنون؛ فهم رأوها في الدنيا علمًا يقينيًّا، ثم رأوها في الآخرة عين اليقين.

(1) الخطيب، السراج المنير: 4/ 481.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 285.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 91.
(4) القنوجي، فتح البيان: 15/ 69.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 91.

نوع (الفاء) ودلالتها:

الفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ استئنافيّة، والكلام المستأنف بعدها مسوق لبيان حال الناس في الدّنيا، وجزائهم في الآخرة[1].

بلاغة استعمال الأداة (أما):

استعمل النّظم الجليل حرف الشّرط (أمّا) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ المفيدة للتّفصيل والشّرط، فهي بمعنى: مهما يكن شيء[2]؛ ولذلك لزمتها الفاء في جوابها، فهي شرطية تربط الجزاء بالفعل ربطًا مباشرًا؛ إذ الأصل: مهما يكن من شيء، فمن طغى؛ فمأواه الجحيم، وهي تفيد التّفصيل؛ إذ قد جاءت بعد حديثٍ مجمل عن البعث وأهوال القيامة، ففصّلت حال النّاس في ذلك اليوم إلى قسمين: طاغٍ آثر الدنيا، وخائفٍ نَهَى النفس عن الهوى، وهكذا جمعت (أمّا) بين الشّرط الذي يربط، والتّفصيل الذي يوضّح، فجاءت في مقامها الأدقّ لتقسيم مصير الإنسان يوم القيامة بأشدّ صور البيان[3].

النّاس يوم القيامة فريقان لكلٍّ منهما حكم قاطع

نكتة التّعبير بالموصول:

عبّر النّظم الجليل بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾؛ للدّلالة على شمول الحكم وعمومه لكلّ من سلك سبيل الطّغيان.

نكتة إيثار التّعبير بلفظ الطّغيان مادّة وصيغة:

آثر النّظم الكريم التّعبير بالطّغيان في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾؛ للدّلالة على مجاوزة الحدّ في العصيان حتّى بلغ الكفر[4]،

لا نجاة لمجاوزة الحدّ بالعصيان

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 91.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 91.
(3) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 437.
(4) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 599.

وجاء التّعبير بصيغة الماضي؛ للدّلالة على تحقّق الطّغيان، وإيثار ذكر لفظ الطغيان دون مقارباته؛ لمناسبة ذكره في شأن رمز الطغيان، وهو فرعون في بداية السورة، فهو تعريضٌ بمن سار على طريقه، وارتضى حاله.

نكتة عطف الإيثار على الطّغيان:

إيثار الدّنيا ثمرة الطّغيان ونتيجته المباشرة

عطف النّظم الجليل إيثار الحياة الدّنيا على الطّغيان في قوله جلّ شأنه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ لأنّ إيثار الحياة الدّنيا نتيجة للطّغيان، فذكره بعده للتّنويه بأنّه مسبّب عن الطّغيان، وأنّه مترتّب عليه[1].

بلاغة استعمال مفردة الإيثار:

تفضيل القريب العاجل على الآجل إيثارٌ للنّار على الجنة

آثر النظم الكريم استعمال مفردة الإيثار في قوله جلّ شأنه: ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، والمراد به تفضيل شيء على شيء في حال لا يتيسر فيها الجمع بين أحوال كل منهما، فدلَّ الإيثار على أنَّ الطغاة إذا عُرض عليهم نعيم العاجلة ونعيم الآجلة؛ آثروا القريب على البعيد، وكفروا بعد نيلهم حظوظ الفطرة، فالإيثار هو تقديم الدنيا على الآخرة بقصد تحصيل النّعيم، فعُلم من اللفظ وجود التفضيل الذي به استحقّوا العذاب، ونالوا العادل من الجزاء.

دلالة تعريف لفظ ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ﴾:

نعيم الحياة الدّنيا عاجلٌ فانٍ، ونعيم الآخرة مؤجّل باقٍ

عبّر النّظم الجليل بلفظ ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ معرّفة بالألف واللّام؛ للدّلالة على أنّها الحياة المعهودة التي تُغري بحضورها، وتَخدَعُ بزخرفها، فهي الحياة المعهودة لذوي الأهواء، حياةُ اللذّات المحصورة في دار العاجلة، وليست حياةً مطلقةً تُنال في الدارين، فجاء التعريف والوصف معًا؛ ليرسما صورة الحياة التي آثرها الطاغي، فهي نعيمٌ زائلٌ يُختطف

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 91.

لحظةً، ويُضحّى لأجله بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[1].

بلاغة المجاز بالحذف:

نعيم الدنيا المذموم هو ما أشغل عن نعيم الآخرة

حُذِف المضاف في قوله جلّ شأنه: ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾، والتقدير: نعيم الحياة الدنيا على نعيم الحياة الآخرة؛ لأنّه هو المخصوص بالذّم، وليس الذمُّ لعموم الحياة الدنيا ونعيمها ولذّاتها، بل هو لخصوص النعيم المُلهي عن الآخرة، وهذه فائدة استعمال مفردة الإيثار.

نوع (الفاء) ودلالتها:

الخلود في الجحيم موئل الطّغيان ومنتهاه

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، وهي واقعة في جواب (أمّا)[2]، تفيد الرّبط؛ تنبيهًا على أنّ الحكم بالجحيم هو جزاء للطّاغي الذي آثر الحياة الدّنيا.

نكتة توالي المؤكّدات:

مكان أهل الطّغيان الجحيم والنّيران

أكّد النّظم الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ بـ (إنّ) وضمير الفصل؛ للدّلالة على أنّه لا مأوى له سوى الجحيم، فهي منزله الذي ينزله، ومأواه الذي يأوي إليه لا غيرها[3]، وهي ردٌّ على من ظنَّ أنّه مستحقٌّ للخير في الآجلة؛ لنيل النعيم في العاجلة.

نكتة التّعريف بالألف واللام في ﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾:

الجحيم المُقيم هو المأوى الوحيد لمن عَميت بصائره في الدنيا

الألف واللّام في لفظ ﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ عوضٌ عن المضاف إليه المحذوف، والتّقدير: فإن الجحيم مأواه؛ وذلك لأنّه قد عُلِم بأنّ صاحب المأوى هو الطّاغي،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 92.
(2) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 437.
(3) القنوجي، فتح البيان: 15/ 69.

كما في قولهم: غُضّ الطّرفَ، أي: غُضّ طرفَك[1]، ونكتة التعبير بهذا التعريف دون الإضافة، الإشعار بأنّ هذا المأوى الوحيد دون سواه، فتنقطع سبل النّظر في البحث عن سواه؛ إذ هو المأوى الذي يجب أن تنصرف إليه أبصار من عميت أبصاره في الدنيا، ورأى مأواه في نعيمٍ زائل.

نكتة عطف ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ﴾:

عطف النّظم الجليل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ على قوله: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ لذكر القسم الثّاني بعد القِسم الأوّل[2]، فهو تكميل وتتميم، وهو عطف للتّقابل والموازنة، لا لمجرّد الجمع بين حكمين؛ إذ أراد إظهار القسمين المتضادّين في موقف الحساب: من طغى، وآثر الدنيا، ومن خاف المقام، ونهى النفس، فجاء العطف بالواو؛ للدلالة على استقلال كلّ قسم بحكمه لا على ترتيب أو تعقيب، وأظهر العطف بأن مناط الذمّ ليس لمطلق نيل الدنيا، بل لإيثارها على الآخرة[3].

موازنةٌ تكشفُ تضادَّ المسلكين وتُبرزُ وجهَ الهدايةِ والضلال

نكتة التّعبير بالموصول:

عبّر النّظم الجليل بالاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾؛ للدّلالة على شمول الحكم وعمومه لكلّ من خشي مقام ربّه، ونهى نفسه عن اتّباع الهوى.

كلّ متّقٍ للرحمن مأواه الجنان

بلاغة الكناية في خوف المقام:

عبّر النّظم الجليل بالخوف من المقام في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ كناية عن الجلال والمهابة، التي تدلّ على تعظيم الله تعالى، فأصل المقام مكان القيام، وهو من قبيل الكناية

نسبة الخوفِ إلى المكانِ يدلُّ على خشيةِ صاحبِ المكان تعظيمًا لجلاله

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 104.
(2) القنوجي، فتح البيان: 15/ 70.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 92.

المطلوب بها نسبة إلى المكنى عنه، فإنّ خوف مقام الله يراد به خوف الله ذاته[1]، فليس المقصود خوف مكانٍ يُقام فيه، بل خوفُ الله نفسه، غير أنّ النّظم عبّر بالمقام تعظيمًا؛ لأنّ مقام الربّ هو موطن جلاله ومهابة سلطانه، فكان ذكر المكان كنايةً عن صاحبه.

علّة عطف نهي النَّفسِ على الخوف:

الخوفُ الباطنُ يثمرُ انكفافًا ظاهرًا عن الباطل

عطف النّظم الجليل قوله: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ على قوله تعالى: ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ لأنّ نهي النفس هو الثمرة العملية للخوف، والبيان التطبيقي لما أحدثه تعظيمُ المقام في القلب، فالخوف شعورٌ داخليّ، ونهي النفس أثرُ ذلك الخوف، فهو دليل يشهد على صدقه، فجاء العطف لترتيب أثر على مؤثّر، فإنّ الرّجل يهمّ بالمعصية، فيذكر مقامه للحساب، فيتركها[2].

فائدة ذكر فعل (نهى):

مدحُ من نهى نفسَه عن غيّها تعريضٌ بمن اتّبع شهواته

عبّر النّظم الجليل بالفعل ﴿وَنَهَى﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾؛ للدّلالة على زجر النّفس عن المعاصي، وكفّها عن المحارم التي تشتهيها بحكم الجبلّة البشرية[3]، وليعلم الطُّغاة أنَّ نفوس المؤمنين الخائفين من الله تعالى تشتهي كما يشتهون، لكنّهم نهوا نفوسهم عن متابعة الملذّات، وتتبع الشهوات، فنالوا الخيرات، وفازوا بالجنّات، فهو تعريضٌ بمن أتبع نفسه هواها.

توجيه تخصيص (﴿ٱلنَّفۡسَ﴾ و﴿ٱلۡهَوَىٰ﴾) بالذّكر:

مجاهدة المؤمن لنفسه برهان صدقه مع ربّه

آثر النّظم الكريم التّعبير بالنّفس والهوى في قوله جلّ شأنه: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾؛ لأنّهما أبلغ ما يبيّن حقيقة الصراع الباطني، الذي يدور في قلب المؤمن، فيزجرها، ويعلّمها بالصبر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 93.
(2) القنوجي، فتح البيان: 15/ 70.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 93.

والتوطين على إيثار الخير[1]، فالنّفس هي محلّ البواعث والدّوافع، والهوى هو ميلها إلى الشّهوات والمعاصي ممّا يخالف الشّرع، فجاء ذكر النّفس مُعرَّفةً؛ للدّلالة على جنس النّفس الإنسانية المعتادة التي تجتمع فيها نوازع الخير والشّر، لا نفسًا مخصوصة؛ ليُفهِم أنّ العبرة عامّة، وأنّ المجاهدة مطلوبة من كلّ إنسان، وعُرِّف الهوى تعريف الجنس؛ ليشمل كلَّ ما تشتهيه النّفس ممّا هو على خلاف هدى الله، فلا يُحصر في شهوة دون أخرى، وبذلك يعبّر النّظم عن صورة كاملة لطبيعة المجاهدة: نفسٌ تميل، وهوى لكلّ ميل محرَّم، وزاجرٌ يردّها[2].

معنى ﴿عَنِ﴾:

عبّر النّظم الجليل بحرف الجرّ الدّالّ على المجاوزة ﴿عَنِ﴾، في قوله جلّ شأنه: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ﴾؛ للدّلالة على نبذ الذّنوب بزجر النّفس عن الميل إلى المعاصي والمحارم[3]، فالمؤمن مباعد مفارق لكلّ معصية لله تعالى.

نبذ المعاصي والذنوب مزيّة العبد المرغوب

معنى (الفاء) ودلالتها:

الفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ واقعة في جواب (أمّا)[4]؛ لربط الجواب بشرطه، وللتنبيه على أنّ الجزاء الأوفى بالجنّة هو جزاء لمن خاف مقام ربّه، وكفّ نفسه عن هواها.

موئل مَن يخشى ربّه جنّات النّعيم خالدًا فيها

نكتة توالي المؤكِّدات:

تتابعتِ المؤكّداتُ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، فأكّد النّظم الجليل الجملة بكونها اسميّة وبتصديرها بـ (إنّ) وضمير الفصل؛ للدّلالة على أنّه لا مأوى لمن خشي الله تعالى إلّا

طمأنة المؤمنين بدار القرار راحةٌ بعد رؤية أهل النّار

(1) السمعاني، تفسير السمعاني: 6/ 153، والخطيب، السراج المنير: 4/ 482.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 93 - 94.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 31/ 93.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 10/ 437.

الجنّة، فهي منزله الذي ينزله، ومأواه الذي يأوي إليه لا غيرها[1]، ففيه قطعٌ لأصحاب الشكِّ والافتراء عمّا يذكرونه في حقِّ المؤمنين، وتسلية وراحة للمؤمنين بمعرفة أن لا سبيل إلّا ما ارتضاه الحقّ لهم في دار الخلود.

نكتة تكرار التَّعبير بالمأوى:

كرّر النّظم الكريم لفظ ﴿ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، وقوله تعالى سابقًا: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾؛ لأنّه واردٌ في سياق ذكر مصير الفريقين، فالمقام مقامُ تقريرٍ للمآل وبيانٍ للمستقرّ الأخير، فعرّف اللفظة تعريفَ العهد؛ ليحيل السامع إلى المأوى المعهود لكل فريق: مأوى الطاغي في العذاب، ومأوى الخاشي في الجنة، وجاء التكرار؛ ليُبقي الصورة حيّة في الذهن: إنّ كلّ طريق ينتهي إلى مأوى لا محيد عنه، وأنّ المسألة ليست عملًا عابرًا بل استقرارًا أبديًّا[2]، ولبيان أنّ المأوى هو مكان الاستقرار الخالد للفريقين، بقطع النّظر عن مضمونه، فالمأوى وصفٌ للاستقرار، وأمّا نوعه؛ فمأخوذٌ من ذكر الجحيم والجنة، وفيه بيانٌ للكافرين بأنَّ ما حسبوه قرارًا في الدنيا ما هو إلّا وهم زائل، وكذب ذاهب.

صورتان متقابلتان ترسّخان معنى الانتهاء إلى مستقرٍّ محتوم

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإيثار والتَّفضيل:

الإيثار من الأثر، وهو الأثر الباقي[3]، وآثرتك: فضّلتك، واستبقيتك، أي: تمسّكتُ بك وحدك، قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ [يوسف: 91]، أي: فضَّلك، ﴿وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾

التّفضيل زيادة في الخير لأحد، والإيثار إبقاء الخير له

(1) القنوجي، فتح البيان: 15/ 70.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 93.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثر).

فضّلها، أي: تمسّك بها واستبقاها، ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: 9]، أي: يفضّلون غيرهم مستبْقين له الخير[1]، أمّا التّفضيل؛ فمن الفضل، وهو الزّيادة في شيء، فالفَضْل: الزّيادة والخير[2]، فالأصل يدلّ على زيادة من مادة الشّيء متميزة عنه: كفضل الإزار وفضول المال والغنائم، وفَضَّله على غيره: جعله، أو عدّه أفضل منه، كقوله تعالى: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: 4][3]، فالتّفضيل هو تفضيل أحد على أحد في الزّيادة من شيء ما، أمّا الإيثار؛ فهو تفضيل أحد بإبقاء الخير له، فإيثار الحياة الدّنيا هو تفضيلها بإبقاء العمل لها والتّهالك على لذّاتها.

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أثر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فضل).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"